السيدة لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

هل أتاك حديث أم الفارس الصنديد، وسيف الله «خالد بن الوليد»؟ إنها «لبابة الصغرى»، أخت «لبابة الكبرى».

نسبها: كان اسمها «العصماء» وأبوها «الحارث بن حزن بن بجير بن الهُزْم» وأمها «فاختة بنت عامر الثقفية[1]. تزوجها «الوليد بن المغيرة» وأنجبت له فارس الإسلام «خالد بن الوليد».

قال ابن الأثير في «أسد الغابة»، وأبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب: [في إسلامها وصحبتها نظر][2]. لكن ابن حجر في الإصابة، لم يُقِرَّ بذلك، فقال: [قال «أبو عمر»: في إسلامها وصحبتها نظر، وأقره ابن الأثير، وهو عجيب، وكأنه استبعده من جهة تقدم وفاة زوجها «الوليد» أن تكون ماتت معه أو بعده بقليل، وليس ذلك بلازم، فقد ثبت أنها عاشت بعد وفاة ولدها «خالد»، ولها في ذلك قصة، فذكر «أبو حذيفة» في المبتدإ والفتوح، عن محمد بن إسحاق، قال: لما مات «خالد بن الوليد»خرج «عمر» في جنازته، فإذا أمه تندبه وتقول:

أنت خير مِنَ ألْفِ ألفٍ من القو م إذا ما بدت[3] وجوه الرجال

قال: فقال عمر: صدقت والله، إنْ كان لكذلك.

وقال «سيف بن عمر» في «الردة والفتوح» بسند له ذكر فيه قصة عزل «خالد» وإقامته بالمدينة.

قال: فلما رأى «عمر» أنه قد زال ما كان يخشاه من افتتان الناس به عزم على أن يوليه بعد أن يرجع من الحج، فخرج معه «خالد بن الوليد» فاستقى خارجاً من المدينة، فقال: احدروني إلى مهاجري، فقدمت به أمه المدينة، ومرَّضته حتى ثقل، فلقي «عمر» لاقٍ، وهو راجع من الحج،

(1) الإصابة (4/ 398).
(2) أسد الغابة (5/ 390) والاستيعاب (4/ 1909).
(3) في الإصابة (4/ 398): كنت، ولا يصح الوزن بغير ما أثبت.

فقال له: ما الخبر؟ فقال: «خالد» لما به، فطوى «عمر» ثلاثاً في ليلة، فأدركه حين قضى، فرقَّ عليه، واسترجع، فلما جهز وبكته البواكي، قيل له: ألا تنهاهن؟ فقال: وما على نساء قريش أن تبكين «أبا سليمان» ما لم يكن نَقْع - أي: وضع التراب على الرؤوس - أو لَقْلَقَة - أي: رفع الصوت بالبكاء - فلما أخرج بجنازته، إذا امرأة محرمة تبكيه وتقول:

أنت خير مِنَ الفِ ألفٍ - البيت المتقدم، وبعده:

أشجاع فأنت أشجع من ليـ ـثِ ضمر بن جهم أبي الأشبال
أجواد فأنت أجود من سيـ ـلٍ أتى يَسْتَقِلُّ بين الجبال

فقال «عمر»: من هذه؟ فقيل: أمه، فقال: أمه والإلّه، أمه والإلّه، أمه والإلّه، وهل قامت النساء عن مثل «خالد»؟. وهذا، وإن كان من رواية «أبي حذيفة» «وهو ضعيف، وكذلك «سيف»، لكن قد ذكر «ابن سعد» وهو ثقة، عن كبير بن هشام، عن جعفر بن بُرْقان، عن يزيد بن الأصم، قال: (لما توفي «خالد بن الوليد» بكت عليه أمه، فقال «عمر»: يا أم خالد! أخالداً أو أجره ترزئين؟ عزمت عليك إلَّا تثبت حتى تسوَدَّ يداك من الخضاب)، وهذا سند صحيح، وعلق البخاري قول«عمر» في النقع واللقلقة في البكاء على «خالد» لكن لم يسمِّ أمه، ومجموع ذلك يفيد أنها عاشت بعد النبي ﷺ، أفيظن بها أنها استمرت على الكفر بعد الفتح إلى أن مات النبي ﷺ هذا بعيد عادة بل يبطله ما تقدم أنه لم يبق بالحرمين ولا لطائف أحد في حجة الوداع إلا أسلم وشهدها][1].

لقد كان إسلام «خالد بن الوليد» حدثاً جليلاً في تاريخ الإسلام، وقد أفضى إلى كثير من الفتوحات على يديه، وحين حضرته الوفاة، قال: (لقد شهدت مائة زحف أو زُهَاءَها، وما في بدني موضع شبر إلَّا وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت

(1) الإصابة (4/ 398-399).

أعين الجبناء، وما من عمل لي أرجى عندي من: لا إلّه إلّا الله، وأنا مَتترِّس بها)، رحمه الله، فأي بطل أعظم ولدته «العصماء» لبابة الصغرى؟ رحمها الله تعالى.

السيدة لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها

هل أتاك حديث امرأة العباس، التي أنجبت له ستة ليس كمثلهم في الناس؟ إنها أم الفضل، المنجبة للفحل بعد الفحل، قال فيها عبد الله بن يزيد الهلالي:

ما ولدت نجيبة من فَحْلِ ... بجبل نعلمه وسَهْلِ
كستة من بطن أم الفضلِ ... أكرم بها من كهلة وكَهْلِ
عم النبي المصطفى ذي الفضلِ ... وخاتم الرسلِ وخير الرسلِ

نسبها: اسمها «لبابة»، وأبوها «الحارث بن حزن بن بُجَيْر بن الهُزْم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية».

وأمها: «هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة بن جُرْش بن حمير» الكنانية، وقيل: الحميرية، وهي أكرم الناس أصهاراً. تزوجها «العباس» عم النبي ﷺ، فأنجبت للعباس: «الفضل» وبه يكنيان، و«عبد الله» و «عبيد الله» وهما فقيهان، و«معبد» و«قُثَم» و«عبد الرحمٰن» والسابعة «أم حبيبة» قاله أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب[1].

وأخوات «أم الفضل» لأبيها وأمها: «ميمونة بنت الحارث» زوج النبي ﷺ، و «لبابة الصغرى» و«عصمة» و«غزة» و «هُزَيْلَةِ» أخوات لأب وأم، كلهن بنات الحارث بن حزن الهلالي، وأخواتهن لأمهن «أسماء» و «سلمى» و «سلامة» بنات عميس الخثعميات، وأخوهن لأمهن «محمية بن جزء الزبيدي» فهن ست أخوات لأب وأم، وتسع أخوات لأم، أمهن كلهن

(1) الاستيعاب (4/ 1908).

«هند بنت عوف»، وقد قيل: إن «زينب بنت خزيمة الهلالية » أختهن لأمهن:

إسلامها: [ثم أخرج ابن جرير الطبري في تاريخه: روى محمد بن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولى ابن عباس قال، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ: كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت «أم الفضل» وأسلمتُ وكان «العباس» يهاب قومه، ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه.

وكان«أبو لهب» عدو الله قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه «العاص بن هشام بن المغيرة»، وكذلك صنعوا، لم يتخلف رجل إلَّا بعث مكانه رجلاً، فلما جاءنا الخبر عن مصاب أهل بدر، كَبَتَه الله وأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوة وعزة.

قال: وكنت رجلاً ضعيفاً، وكنت أعمل القِداح أنحتها في حجرة «زمزم» فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح، وعندي «أم الفضل» جالسة، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذْ أقبل الفاسق «أبو لهب» يجر رجليه بشَرٍّ، حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس: هذا «أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» قد قدم، قال: فقال «أبو لهب»: هلم إليَّ يا بن أخي، فعندك الخبر. قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال: يا بن أخي! أخبرني، كيف كان أمر الناس؟ قال: لا شيء والله، إن كان إلَّا أن لقيناهم، فمنحناهم أكتافنا، يقتلوننا ويأسرون كيف شاؤوا، وايم الله مع ذلك مالت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيلُ بُلْقٍ بين السماء والأرض، ما تُلِيقُ - ما تبقي - شيئاً، ولا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع: فرفعتُ طُنُب الحجرة بيدي، ثم قلت: تلك الملائكة، قال: فرفع «أبو لهب» يده، فضرب وجهي ضربة شديدة، قال: فثاورته - أي: وثبت إليه - فاحتملني، فضرب بي الأرض ثم برك عليَّ يضربني -

وكنت رجلاً ضعيفاً - فقامت «أم الفضل» إلى عمود من عمد الحجرة، فأخذته، فضربته به ضربة، فشجَّت في رأسه شجة منكرة، وقالت: تستضعفه أن غاب سيده! فقام مولياً ذليلاً، فوالله، ما عاش إلَّا سبع ليال، حتى رماه الله عزَّ وجلَّ بالعدسة - قَرْحة قاتلة كالطاعون - فقتلته.

فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن في بيته - وكانت قريش تتقي العدسة وعَدْوتها كما يتقي الناس الطاعون - حتى قال لهما رجل من قريش: ويحكما! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تغيِّبانه! فقالا: إنا نخشى هذه القرحة، قال: فانطلِقا فأنا معكما، فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد، ما يمسُّونه، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه][1].

إنها لنهاية لائقة بالمكذبين، لرسول الله ﷺ الصادق الأمين. فقد كان «أبو لهب» عم رسول الله ﷺ يمشي وراءه، فإذا وقف على نفر، وراح يدعوهم إلى الله، قال لهم: لا تصدِّقوه، لا تصدقوه.

رؤيا أم الفضل: بينما كانت «أم الفضل» نائمة ذات ليلة، إذ رأت في منامها رؤيا أفزعتها كثيراً، وأقلقتها أشد القلق، فأفاقت مذعورة، وحاولت تناسيها، وصرف فكرها عنها، لكنها لم تستطع ذلك، ثم عزمت على أن تقصها على رسول الله ﷺ، لأنها تخصه.

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده تلك الرؤيا، عن سماك، عن قابوس ابن أبي المخارق، عن أم الفضل، قالت: رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، قالت: فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: (خيراً، تلد «فاطمة» غلاماً، فتكفلينه بلبن ابنك قُثَم).

قالت: فولدت «حسناً» فأُعطيتُه، فأرضعتُه حتى تحرك - أو قطعتُه - ثم

(1) تاريخ الطبري (2/ 461-462).

جئتُ به إلى رسول الله ﷺ، فأجلسته في حجره، فبال، فضربتُ بين كتفيه، فقال: (ارفقي بابني، رحمك الله - أو أصلحك الله - أوجعتِ ابني) قالت: قلت: يا رسول الله! اخلع إزارك والبس ثوباً غيره، حتى أغسلَه، قال: (إنما يُغْسَلُ بول الجارية، ويُنْضَح بول الغلام).

روايتها للحديث: روت «أم الفضل» حوالي ثلاثين حديثاً عن رسول الله ﷺ، وروى عنها ابنها «عبد الله» ومولاها «تمام» وبعض الصحابة.

وفاتها: وفي خلافة «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، وافتها المنية، وصلى عليها زوجها «العباس» ثم واراها الثرى. رحمها الله تعالى.

السيدة ليلى بنت أبي حثمة رضي الله عنها

نسبها: اسمها «ليلى» وأبوها «أبو حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عُبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي» القرشية العدوية، وزوجها «عامر بن ربيعة» وقد ولدت له «عبد الله» وبه تكنى.

إسلامها وهجرتها: كانت من السابقات إلى الإسلام، ومن المهاجرات الأول، وها هي ذي تروي لنا ما دار بينها وبين «عمر بن الخطاب» غداة هجرتها إلى الحبشة، قبل أن يشرح الله صدره للإسلام: قالت: كان «عمر ابن الخطاب» قبل إسلامه من أشد الناس علينا في إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة، جاءني «عمر» وأنا على بعيري، فقال: إلى أين؟ يا أم عبد الله!، فقلت: آذيتمونا في ديننا، فنذهب في أرض الله، حيث لا نؤذى في عبادة الله، فقال «عمر»: صحبكم الله بالسلامة، ولم يتعرضني بسوء، وبدا لي أنه رقَّ لنا.

فجاءني زوجي «عامر بن ربيعة»، فقال لما أخبرته بخبره: ترجين أن يسلم؟ فقلت: نعم، والله! أرجو ذلك.

وصدقت فِراسة «أم عبد الله» فقد أسلم «عمر» وأعزَّ الله به الإسلام، وخرج من السر إلى العلانية.

وبعد عودة «ليلى» من الحبشة مع زوجها والمهاجرين، كانت هجرتها الثانية إلى المدينة. وقيل: إنها أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة مع زوجها «عامر بن ربيعة». قاله أبو عمر بن عبد البر، وابن الأثير، والزبير، ومصعب، وقيل: أم سلمة، والله أعلم.

صدقها مع ولدها: روى الإمام أحمد عن محمد بن عجلان، عن مولى لعبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي، عن عبد الله بن عامر أنه قال: أتانا رسول الله ﷺ في بيتنا وأنا صبي، قال: فذهبت أخرج لألعب، فقالت أمي: يا عبد الله! تعال أعطك، فقال لها رسول الله ﷺ: «وما أردتِ أن تعطيه؟» قالت: أعطيه تمراً، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك لو لم تفعلي كتب عليك كذبة». إنها من أنجب تلميذات المدرسة المحمدية. رحمها الله تعالى.

السيدة ليلى بنت الخطيم رضي الله عنها

نسبها: اسمها «ليلى» وأبوها «الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الخزرج بن عمرو» الأنصارية الظفرية. وأخوها الشاعر «قيس بن الخطيم» الذي عرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، فاستنظره وقتل كافراً، وامرأته «حواء» الأنصارية.

«ليلى» إحدى النسوة اللائي عرضن أنفسهن على النبي ﷺ ليتزوجهن. وقد روى ابن أبي خيثمة، وابن سعد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت «ليلى بنت الخطيم» إلى رسول الله ﷺ وهو مولٍّ ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه، فقال: «من هذا؟ أكله الأسود» وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الريح، أنا «ليلى بنت الخطيم» جئتك لأعرض نفسي عليك تتزوجني، قال: (قد فعلت)، فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني رسول الله ﷺ؛ فقالوا: بئس ما صنعت، أنت امرأة غيرى، والنبي ﷺ صاحب نساء، فتغارين منه، فيدعو الله تعالى عليك، فاستقيله

نفسك، فرجعت إليه، فقالت: يا رسول الله! لامني قومي، وخوفوني عذاب الله، فأقلني، قال: (قد أقلتك) وزاد «ابن سعد»: فتزوجها «مسعود ابن أوس بن سواد بن ظفر» فولدت له، فبينما هي في حائط - بستان - من حيطان المدينة تغتسل، إذ وثب عليها الذئب، لقول رسول الله ﷺ فأكل بعضها، فأُدركت، فماتت[1].

وقال رسول الله ﷺ: (إني أحب أن أتزوج في الأنصار)، وقال: (إني أكره غيرتهن، إني أكره غيرة الأنصار).

وهكذا، انتهت حياة «ليلى بنت الخطيم» تلك النهاية الشنيعة. رحمها الله تعالى.

السيدة ليلى بنت قانف رضي الله عنها

أخرج ابن الأثير في «أسد الغابة»:

[أخبرنا أبو ياسر بإسناده عن عبد الله: حدثني أبي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثنا نوح بن حكيم الثقفي - وكان قارئاً للقرآن - عن رجل من ولد «عروة بن مسعود» يقال له: «داود» قد ولدته «أم حبيبة بنت أبي سفيان»، عن ليلى بنت قانف أنها قالت: كنت فيمن شهد غسل «أم كلثوم بنت النبي ﷺ» قالت: فأول ما أعطانا النبي ﷺ من كفنها الحَقْوَ، ثم الدرعَ، ثم الخمارَ، ثم المِلْحَفَة، ثم أدرجت في الثوب الآخر إدراجاً، ورسول الله ﷺ عند الباب، معه كفنها، يناولنا ثوباً ثوباً][2]. رحمها الله تعالى.

(1) طبقات ابن سعد (8/ 150-151).
(2) أسد الغابة (5/ 393).